
بسم الله الرحمن الرحيم

المؤتمـــر الدولـــي الثامـــن حول القضايـــا الراهنة للغات، علم اللغة، الترجمة والأدب

(افتراضي)

14-15 فبراير 2023، الأهواز

مفهوم التَّرجمة و تاريخها في البلدان المغاربيَّة

Translation concept and its history in the Maghreb .countries

د. نجاح لعور د. سهير لعور
جامعة عباس لغرور _خنشلة _ الجزائر

الملخص

تعدُّ التَّرجمة سبيل من سُبل الاستزادة المعرفيّة والعلميّة ، و التواصل بين الأمم والثقافات المختلفة ، و الانفتاح على ما هو غريب ، لتحقيق قدر عال من التحديث ، و الرقي بالثقافة المحلية . ومن هنا كان الهدف وراء كتابة هذا المقال ، لغرض إلقاء الضّوء على مفهوم التَّرجمة و مستوياتها ، وبيان أهميتها كأداة لتفاعل المجتمعات الناهضة مع جديد العلوم الإنسانية والاجتماعية ، التي هي من أهم عوامل التقدم العلميّ، و الحضاريّ ، والثقافيّ ، ثم استعراض ملامح من المسار التاريخيّ للتَّرجمة ، في المجال التداولي المغربي ، كل على حدة ، مع الحديث عن أهم المعوقات ، و التحدّيات التي صادفت تلك التَّرجمة.

الكلمات المفتاحية : التّرجمة ، المسار التاريخيّ ، التحدّيات ، البلدان المغاربيَّة .

بروز فعل التّرجمة، حيث استطاعت الشعوب في بداية الأمر تحقيق التواصل اللّغوي مع بعضها البعض ، بفك الغوامض اللغوية للآخر المغاير والمخالف لها ، ثم مع التقدم العلمي والحضاري، أصبحت الحاجة إلى التّرجمة ملحة ومهمة، لغرض التفاعل مع مستجدات العلوم على اختلافها، والتعرف على المنجزات العلمية والمعرفية والثقافية للآخر، وهذا لعقد الصلة مع الشعوب الأرفع حضارة ، ذلك أن الإنسان الذي ينتمي إلى أدنى حضارة شغوف دائما لاكتساب المعرفة من المجتمعات الأرقى حضاريًا وعلميًا ، ويسعى دائما إلى التحديث والتقدم . لهذا كانت ومازالت التَّرجمة أداة فعّالة لنقل العلوم والتكنولوجيا ، ومواكبة ديناميكية الأفكار والعلوم والثقافة والتقنيّة ، ويعَدُّ الوطن العربي عامة ، ثم الوطن المغربي خاصة واحدا من بين هاته الأمم التي تسعى بقدر ما تتيح لها إمكاناتها الالتحاق بركب التقدم والتطور من طريق التَّرجمة . لهذا، فالمشكلة التي يمكن أن تعالجها هذه الورقة متمثلة في التساؤلات الآتية:

-ما مفهوم التّرجمة ، وفيما تتمثل مستوياتها و أهم أهدافها ؟

أ: مفهوم التّرجمة

1/ لغة:

ترجم: يترجم، تّرجمة، فهو مُتّرجم، والمفعول مترجم، ترجم الكلام: بيَّنه ووضَّحه وفسَّره، ترجم القرار إلى عمل، أي نفذه، أو نقله إلى مستوى التطبيق، ترجم عن آماله بمعنى أبَانها وعبر عنها.

وتعني أيضا: ترجم الكتاب، أي نقله من لغة إلى أخرى، أو لم يتقن اللّغة الأجنبيّة فأقبل على قراءة المترجمات.) عمر، 2008، ص288).

2/ اصطلاحا:

أما المعنى الاصطلاحي فلا يختلف كثيرا عن المعنى اللّغوي، إذ تعرفه المتضّلعة في علم التّرجمة الأستاذة الجامعية الإسبانية "أمبارو، أورتادو، ألبير" ، بقولها :" عملية تفسيرية واتصالية، تتألف من إعادة صياغة نّص باستخدام الوسائل المتاحة في لُغة أخرى، وأن هذا النّص سيكون في سيّاق اجتماعي بعينه وله غاية محددة" (ألبير ، 2007، ص 50).

فأي تعريف بحسب أمبارو للتّرجمة ينبغي أن يتضمن بالضرورة تلك العناصر الثلاثة، وهي: النّص، وفعل الاتصال، والنشاط المعرفي للفرد الذي يقوم بالتّرجمة ، وتعرفها صفاء الخلوصي بقولها : " التّرجمة فنّ جميل يٌعنى بنقل ألفاظ ، ومعان ، وأساليب من لغة إلى أخرى بحيث أن المتكلم بلّغة المترجم إليها يتبيَّن النّصوص بوضوح ويشعر بها ،بقوة كما يتبينها ويشعر بها المتكلم باللّغة الأصلية" (الخلوصي ، 1982، ص14).

يبدو من تعريف الخلوصي أن التّرجمة فنّ أكثر من كونها علم ، والمترجم ، إضافة إلى كونه متمكنا لغويا يجب أن يكون أيضا فنّانا في التّرجمة مطلعا على الموضوع المراد ترجمته ، يمتلك حسا ثقافيا وفنيا لكل من اللّغتين.

3/ الفرق بين التعريب والتّرجمة

التعريب غير التّرجمة، فالتَّرجمة هي نقل رسالة لسانية أو معنى و أسلوب من لُغة إلى أخرى ، بينما التعريب هو رسم لفظة أجنبية بحروف عربيّة ، حيث تعني نقل الكلمة من العجمية إلى العربيّة والمعرَّب هي الكلمة التي نقلت من العجمية إلى العربيّة سواء وقع فيها تغيير أم لا، غير أنه لا يتأتى التعريب غالبا إلّا بعد تغيير ما في الكلمة.

والتعريب هو مصدر عرّب بالتضعيف. يقال عرب عن صاحبه تكلم عنه واحتج له. وقد ورد قولهم: أعرب الأعجمي ويعرّب واستعرب كل هذا اللاغتم إذ فهم كلامه بالعربيّة. والأغتم من لا يفصح شيئا، ومعناه ترجمة النّصوص الأجنبية ونقلها إلى العربيّة .(اليافي ، 1984، العدد13،14) .

والتعريب هو دعوة إلى استمرارية اللغة العربية لغة الأم في ثقافة وحياة الأمة العربية تأكيدا للأصالة والهوية العربيَّة لمجتمعاتها.

كما أنه هناك فرق بين التَّرجمة وعلم التَّرجمة، فالتَّرجمة مهارة وإتقان ، ومعرفة بهذا العمل بما في ذلك التمكن من حل المشكلات التي تطرأ على المترجم خاصة عند التَّرجمة الفورية، أي معرفة التَّرجمة مع إتقانها عملا و طريقة ، أما علم التَّرجمة Translation Science، فهو العلم الذي يتولى دراسة موضوع التَّرجمة ، وعلاقته بفروع العلوم الأخرى.) ألبير ، 2007 ، ص32).

ب : مستويات وأهداف التّرجمة

ليست المعرفة الكاملة باللّغات كافية للحصول على ترجمة جيّدة ، بل يجب التأكد من وجود شرطين اثنين بودنهما لا يمكن فهم النّص الأصلي، وبالتالي لا يمكن أن يتمكن المترجم من ترجمة العمل بشكل جيّد.

هذان الشرطان هما:(مونان ، 2002، ص 28)

- معرفة اللّغة (اللّغة الأم واللّغة المراد التّرجمة منها وإليها)
- معرفة الحضارة التي تتحدث عنها هذه اللّغة (وهذا يعني معرفة الحياة الثقافية وخصائص الشعوب التي تعبر عنها هذه اللّغة معرفة كاملة ومستفيضة)

بمعنى أن يتوفر المترجم على خاصيتين أساسيتين، أهلية الفهم، وأهلية التعبير والإلمام بثقافة المجتمع المنقول عنه. فنجاح التّرجمة مرهون بمدى استيعاب المترجم للغتين، وتمكنه من الاختصاص ، هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى نجد أن غايات وأهداف التّرجمة كثيرة ومتنوعة أهمها: أن الأساس في التَّرجمة هو الاختلاف بين اللّغات والثقافات (وهذا هو الباعث الرئيس للتّرجمة)

التَّرجمة ذات غاية اتصالية (التواصل بين المجتمعات والأمم على اختلاف ألسنتها لأغراض عديدة، كالتعارف والتفاعل، الثقافي ،والمعرفي، والعلمي ...إلخ)

التّرجمة موجهة لمتلقي، يحتاجها لجهله باللّغة ، وبالثقافة التي ينسب إليها النّص الأصلي.

ترتبط التّرجمة بالغاية الكامنة وراءها، وهذه الأخيرة تختلف حسب كل حالة (بمعنى أدق، عند ترجمة أي عمل تطرح دائما تساؤلات كثيرة ومهمة، مثلا: لماذا نترجم؟ ولمن نترجم؟ وماذا نترجم...إلخ) .

أنماط الترجمة كما يراها جاكوبسون ثلاثة:
ترجمة داخل اللّغة نفسها، والتّرجمة بين اللغات والتّرجمة بين الرموز السيميوطيقية (ألبير ، ص 32) ، فالأولى تتعلق بوضع تفسير للرموز و الرسائل اللّغوية من خلال رموز أخرى من اللّغة نفسها أي ، إعادة الصيّاغة ، والثانية تعني وضع تفسير للنّصوص اللغوية إلى لغة أخرى، مثلا تّرجمة نّص عربي إلى نّص باللّغة الفرنسية أو العكس صحيح، والثالثة هي بمثابة ترجمة للرموز اللغوية برموز أخرى غير لغوية (Transmtuation) .

كما يرى الفيلسوف والمنطقي المغربي طه عبد الرحمن أن التَّرجمة مراتب ثلاث وهي: «التّرجمة التحصيلية» ، «التّرجمة التوصيلية» ، و« التّرجمة التأصيلية الإبداعية»، وهذه الأخيرة هي نقل النّص الأصلي بما يتلاءم مع عبقرية اللّغة المنقول إليها ، وهي التّرجمة التي يروج لها طه عبد الرحمن ، لما فيها من إبداع، "حتى لكأنها تنفي بتأصيليتها عملية النقل ، فتقع من نفس القارئ العربي موقع الأصل"(عبد الرحمن ، 2013، ص 67).

ج : ما المقصود بتأريخ التّرجمة ؟
من الأهمية بمكان معرفة أوّلاً، ما المقصود بتاريخ التَّرجمة أو مصطلح تأريخ التَّرجمة و الذي هو عبارة عن :" مجموعة مترابطة من الكتابات التي تشمل على التغيرات التي حدثت أو جرى منع حدوثها في مجال التَّرجمة. ويشمل مجال تاريخ التَّرجمة الأحداث الأهداف والعوامل التي تؤدي إلى الترجمات (أو اللاترجمات)، ونظريات عن الترجمة، وإلى ظواهر لا حصر لها تربطها علاقات سببية. (بيم ،2010، ص32).
إذن ، فالبحث في تاريخ التّرجمة هو بحث في العوامل والتغييرات التي لحقت بمجال التّرجمة قديما وحديثا ، ومن هنا، فإن تاريخ التّرجمة المتعارف عليه يمكن تقسيمه إلى ثلاثة أقسام فرعية على الأقل " الأركيولوجيا" و "النقد" و "التفسير"، والمقصود بهذه المصطلحات على حدة هو:
أركيولوجيا الترجمة (Translation archoeolog): تعني مجموعة من السياقات المعينة

بالإجابة على السؤال المعقد أو على جزء منه، مثل: من ترجم هذا، وكيف؟ وأين؟ ومتى؟ ولمن؟، ولأي هدف؟ ويمكن أن تشتمل أركيولوجيا الترجمة على أي شيء، بداية من تصنيف الفهارس وحتى إجراء أبحاث عن سير المترجمين.(بيم ، 2010، ص33)

النقد التاريخي :(Historical criticism:)) وهو مجموعة من الكتابات التي تساعد على تقييم الأسلوب الذي تعمل الترجمات عن طريقها على تعزيز أو تعويق مسيرة التقدم، وهذه عملية في غاية الصعوبة ومحفوفة بالمخاطر، حيث يتعين أولا تحديد ماهي وفيما تتجلى مظاهر التقدم.

التفسير:((explanation):وهو ذلك الجزء من تاريخ التّرجمة الذي يحاول الإجابة على سؤال لماذا ظهرت الأشياء؟ و كيف تغيرت ؟

بدأت التّرجمة في بلاد المغرب العربي مع مطلع القرن العشرين لتحصيل علوم الحداثة التي هي أساس نهضة وازدهار الغرب، الغرض منها الاطلاع على الإنجازات العلمية والفلسفية الغربية، والانفتاح على آخر ما توصل إليه الغرب، وعلى آفاق علمية وفكرية لم يعرفوها من قبل.

وبالرغم من التقدم الذي أحرزته التّرجمة في المغرب العربي في مجال العلوم الاجتماعية والإنسانية، خاصة مع المبادرة التي دعا لها طه حسين و هي إنشاء مؤسسة عربية للتّرجمة لإعداد المترجمين، ولكن لم يتحقق من هذا سوى إقامة المعهد العالي للتَّرجمة الذي أُقيم منذ بضع سنوات في الجزائر ، وما يزال في طور التجربة .

حيث يؤكد الباحث السوري شحادة الخوري على وضع متميز عنه في المشرق العربي في مجال التّرجمة عن وإلى العربية ، إذ تعاني بلدان المغرب العربي من أزمة ثنائية أو ازدواجية اللغة ، فيقول :"إن ازدواجية اللغة (أي العربيّة و الفرنسيّة في التعليم و التأليف و الصحافة) أثرت تأثيرا فعّالا على حركة التَّرجمة ، فأبطل الشعور بالحاجة إليها "
(المنظمة العربيّة للتربية ،1987 ، ص 137) ، هذه الازدواجية اللّغويّة خلقت نوع من عدم الحاجة إلى ترجمة الكتب الفرنسيّة إلى العربيّة خاصة إذا كان جزء ليس بيسير يتقن اللّغة الفرنسيّة ، ترتب عنه قراءة الكتب و المؤلفات بلغتها الأصلية ، إضافة الى أنّ الكتَّاب و المثقفين يفضلون الكلام والكتابة باللّغة الفرنسية ، وبتالي حرمان الجزء الآخر

أعلن الملك محمد الخامس 1947 في طنجة أن هوية المغرب هي اللّغة العربيَّة ، ومن هنا بدأ التفكير في التعريب و العودة إلى الأصل وفي هذا السياق يقول :"ومن هنا بدأ السعي فاحدث معهد الأبحاث والدراسات للتعريب عام 1960، ودعي أقطاب اللّغة العربيّة و الثقافة العربيَّة إلى عقد مؤتمر بالرباط عام 1961 ، وكان أن انبثق منه المكتب الدائم للتعريب و صار منذ عام 1970 جهازا من أجهزة المنظمة العربيّة للتربيّة و الثقافة و العلوم " .(المنظمة العربية للتربية ، 1987 ، ص 138) .

ولم يكن ذلك التغيير على مستوى المغرب الأقصى وحده بل تعدى هاجس التعريب و التَّرجمة إلى البلدان المجاورة ، كتونس والجزائر ، تم من خلالها تعريب الإدارة و التعليم في المراحل الثانوية والجامعية ككليات العلوم الاجتماعية والإنسانية ، ماعدا الحقوق الذي كان يدرس باللغتين ومعاهد العلوم التقنية ، والطبية، والتطبيقية مازالت تحتل اللّغة الفرنسيّة فيها الصدارة " . بلغ إجمالي الكتب المطبوعة في المغرب عام 1980 عدد 253 كتابا بالعربيّة ، و 200 كتاب بالفرنسيّة ، وفي عام 1983 : 123 كتاب بالعربيّة و 102 كتاب بالفرنسية بنسبة 9/5 إلى 9/4 لصالح العربية ".(المنظم العربية للتربية ، 1987 ، ص 139) ،ورغم ذلك ،فالتَّرجمة من وإلى العربيَّة في المغرب تعاني من بعض المعيقات ، كقلة المعاهد المخصصة للتّرجمة أو قلة التخطيط ، مما جعل بعض المثقفين و الأساتذة

وتشير الدكتورة المغربية فاطمة الجامعي الحبابي في دراسة لها عن التّرجمة في المغرب إلى أنّ " نشاط الترجمة بدأ محدودا في القرن 16 ، و شهد منتصف القرن 19 بدايات جديدة ، اقترنت بمحاولات نهضة علميّة ، و تذكر أنه يوجد بالمغرب عشرة مكاتب أو معاهد أو أكاديميات معنية بالتّرجمة من أهمها : مكتب تنسيق التعريب ، الذي أُنشيء عام 1961 ، ثم أصبح اسمه عام 1962 المكتب الدائم لتنسيق التعريب ، و أُلحق بالأمانة العامة للجامعة العربية عام 1969 ، ثم بالمنظمة العربيّة للتربيّة و الثقافة و العلوم عام 1972 ، ومهمته الأساسيّة تنسيق تعريب المصطلحات على الصعيد العربيّ .

خاتمة :

ما يمكن قوله من خلال ما سبق عرضه ، أن التَّرجمة ليست قضية نقل نّص لنّص آخر بلغة أخرى أجنبية ، مهما كانت هذه اللّغة المنقولة إليها ومنها من أهمية و قيمة علمية وعولمية فحسب بل هي قضية سياسيّة ، و ثقافية ، و حضارية ، و تواصلية ، بل إن التّرجمة لها أبعاد أهم بكثير ، فهي إحدى آليات المعرفة التي هي بمثابة أحد أهم مكونات ازدهار و تطور الأنشطة و المجالات الاجتماعية على اختلافها في الاقتصاد ، و الثقافة ، و السياسة ، وعلى جميع العلوم خاصة العلوم الاجتماعية والإنسانية ، لذلك تلهث جميع الدول و المجتمعات الناهضة ، أو ما يصطلح عليها مجازا الدول النامية ، بما فيها البلاد المغاربيَّة ، بكل نخبها المتخصصة إلى رفع التحدّي و تسخير إمكاناتها و طاقاتها لاستيعاب العلم المعرفي و إنجازات الآخر الأرقى معرفيا وتكنولوجيا ، والتفاعل الثقافي الصحي لاكتساب المناعة الثقافية بدل الارتماء بكليتها على سيطرة الآخر لسبب أو آخر، عولمي كان أو كوكبي ، فكما يقول المهاتما غاندي " إنني أفتح نوافذي للشمس و الريح ، ولكنني أتحدّ ى أية ريح أنّ تقتلعني من جذوري "، فلا أحد يستطيع أن يعيش معزولا ،العزلة تعني الموت و الاندثار .

و الحضارات تستعير من بعضها البعض ، وما معارف الحضارات المتأخرة إلا سلسلة من المعارف المتراكمة و المتواصلة من الحضارات الأولى . دون أن ننسى دور المترجم في عملية التَّرجمة الناجحة التي تكون في أحايين كثيرة أحسن من الكتابة الأم و التأليف المباشر ، فعمل المترجم في الدول العربية شبه مجاني ، مما أدى ببعضهم إلى ترك مهنة التَّرجمة والاشتغال بما يدر عليهم بالمال الوفير ، وهذا ما يجعل من عملية التَّرجمة في أي بلد عربي تتراجع بدل أن تتطور ، يشرح مصطفى شهباز حال المتَّرجم العربي في كلمة العدد السادس لمجلة (المشروع العراقي للتَّرجمة) قائلا " يخيم شبح البطالة وسوقية عمل النَّشر في الوطن العربي على مهنة التَّرجمة ويضرها كمرض مزمن ، مما يجعل من مهمة الحصول على مترجمين أكفاء شبه مستحيلة ، بل إن الكثير من المتَّرجمين المتمكنين في هذا الجانب تركوا المهنَّة نحو مهنّ أخرى توفر لهم عيشا كريما ..مما يرسخ و يزيد من الفقر المزمن للمعارف باللّغة العربيَّة" .